قهوات العمال

وكيف يقضى العمال أوقات فراغهم

لا تشغل مسائل العمال فى مصر مكانا عظيما من اهتمام الرأى العام ، لأن الواقع أن هذه المسائل إنما تفشو فى الأوساط الصناعية حيث يتكأكأ العمال حول المصانع وحيث يتناوبهم العمل والتعطل بلا نظام كما هو الشأن فى الصناعات الآلية الكبرى. أما فى مصر فان الوسط لا يزال فى الأكثر زراعيا وهو منتظم العمل على طول العام. واذا كانت مكاسبه دون المكاسب فى الوسط الصناعى فانها تمتاز عليها بما فيها من انتظام و بعد عن مفاجآت البطالة .

ولكن فى القاهرة والاسكندرية كما فى المحلة الكبرى و بعض المدن الأخرى قد ظهرت صناعات جديدة بين صغيرة وكبيرة . وقد كثر العمال حولها. وصاروا يعمرون أحياء معينة تمتاز بانخفاض الأجور فى السكنى كما تتسم بالازدحام وقدم المساكن .

وعمالنا يعملون فى الغالب بين ثمانى وعشر ساعات فى اليوم . وهم يتمتعون بفراغ قد يبلغ ست أو سبع ساعات كل يوم . و بعض هذا الفراغ بالطبع يقضيه العامل بين أهله وأولاده ولكن كثيرا منه بل أكثر منه يقضى فى المقهى للسامرة واحتساء الشاى . ونقول " أكثر منه " لأن العامل يعتاد السهر فى هذه القهوات إلى مابعد مواعيد نومه . وهو يأخذ بذلك من راحته لسهره وربما تسوء صحته لهذا السبب أى لقلة الوقت الذى يقضيه فى النوم لأنه يقضيه فى القهوة . وكلنا يعرف ذلك العامل الذى يغفو وقت عمله وتمتد إغفاءته الى نوم عميق لأنه لم يشبع من النوم فى ليلته السابقة .

والقهوة تعد منتدى العمال . فيها يتسامرون و يلهون . وقد يكون بينهم من يقرأ الجريدة أو المجلة فيثير فيمن حوله عواطف ذهنية مفيدة ومثيرة . ثم قل أن تخلو قهوة من الراديوفون الذى يبهج أحيانا بالأغانى والألحان و يثقف بالأحاديث والأخبار . والى هنا تعد القهوة فى المدن الكبرى مفيدة إذ هى ساوة لا بأس بها تجمع بين زملاء الحرفة أو قرناء السن. ولكن

قهوات المدن الرخيصة التى يغشاها العمال لا تقدم من المنبهات غير أصناف محدودة يتغلب عليها الشاى الأسود الذى تكرر اغلاؤه حتى غليت عليه المرارة . وهذه المرارة تحمل شاربه على أن يكثر من السكر . وهذا السكر يعد بالنسبة الى الخبز طعاما ناقصا .

ونظن أنه يمكن لقهواتنا التى تختص بالعمال أن تعمد إلى التنويع والزيادة فى الأصناف التى تقدم لزبائنها ، بل هى تستطيع أن تقدم الشاى مثلا مع كسرة من الخبز والزبدة أو الخبز والجبن ، وقد وجدت الحكومة الانجليزية أنها عند ما أجبرت الحانات على تقديم الغذاء مع الشراب فى أوقات معينة قل استهلاك الخمر وتحسنت الصحة العامة بين العمال . ولسنا نعرف اذا كان الاجبار القانونى هنا يفيد أو لا يفيد . ولكنا نظن أنه يمكن لبعض أصحاب هذه القهوات أن يتطوعوا بهذه التجربة . فان الأغلب ان استهلاك الشاى والقهوة يقل بسببها وتتحسن صحة عمالنا .

وقد أثبتت تجارب السنين الماضية أن عمالنا لا يخشى عليهم من الخمر . وقد يبدو لأول وهلة أن السبب فى ذلك يرجع الى غلائها . ولكن الحقيقة أن فى القاهرة أنواعا من الخمور هى بالطبع غاية فى السوء ولكنها رخيصة . كما أن " البوظة " من المشروبات المألوفة عند أفراد قلائل . ولكن هذا الانخفاض فى الثمن لم يفش تعاطيها بين العمال الذين يكرهونها بمزاجهم كما أن الوازع الدينى من القوة بحيث يكفهم عنها فى الأغلب . على أن كراهة عمالنا للخمور لم تجد لها ما يضارعها من الكراهة للمخدرات المضرة التى يتجاوز ضررها جميع الخمور كما اتضح ذلك عقب الحرب الكبرى حين تفشى الكوكئين ثم أعقبه الهيروئين . وقد تكلفت الحكومة مبالغ طائلة وجهودا عظيمة حتى قضت على أكثرها .

ويبدو لنا أن هناك علاقة بين الغذاء السيء والرغبة فى المخدرات . وتفشى الأفيون فى كل من الهند والصين حيث تشتد الفاقة يؤيد هذا الظن . فإن الجوع يحدث همودا فى الجسم يحمل صاحبه إلى الترفيه عليها بالمخدرات . كما لا ننسى أن المخدرات إنما كان أعظم تفشيها عقب الحرب الكبرى بين الطبقات الفقيرة . ولذلك يجب أن نعمد فى العلاج إلى توفير الغذاء الحسن وأن نجعله الضمان الأول من السقوط فى هذه الهاوية . وهذا يحملنا على أن ندعو إلى أن تكون القهوة التى يغشاها العمال خاصة والفقراء عامة مطعما كما هى مشرب يقدم فيه القليل من الأطعمة الجافة التى تكسر حدة الجوع وتضعف الرغبة فى المنبهات والمخدرات من الشاى إلى الخمر ومن الدخان إلى المخدرات أو تزيلها .

إن هناك من يقول بإلغاء القهوة اعتقادا بأنها تعود العمال عادات سيئة . ولكن اختبارات الأمم الأخرى قد دلت على أن معالجة الأخلاق باللهو البرىء خير من معالجتها بالقمع التام . وإذا كانت قهواتنا ليست الأمكنة المثلى لكى يقضى فيها العامل فراغه فإن فى مقدورنا أن نصلحها .

ولكن القهوة يجب ألا تكون كل شيء فى فراغ العامل . فإن النادى يستطيع أن يقوم بخدمة القهوة ولكن على مستوى أعلى . ثم يمكن للنادى الذى يؤلفه العمال فيما بينهم أن ينال عطف الأغنياء والقادرين بالتبرع المالى الذى يستخدم للتحسين والترقية . وفى مستطاع النادى أن يفعل ما لا تستطيع القهوة أن تفعله أى فى مستطاعه أن يقتنى الكتب و يؤسس غرفة للمطالعة . كما أنه يمكنه أن يستخدم المحاضرين . بل أن بعض الأندية يستطيع أن ينظم الدروس التى ترقى العمال وترفعهم وتشغل وقتهم بالمفيد من الثقافة الابتدائية .

وحكومتنا فى الوقت الحاضر معنية بإيجاد المتنزهات فى الأحياء الوطنية الفقيرة . وهذه المتنزهات إذا كثرت كانت من أفضل الوسائل لصرف أوقات الفراغ .

— كبر الصغير قبيح كتواضعه ، كلاهما فى غير موضعه .

— من وضع نفسه قصر عن فضيلة التواضع .

— من عرف نفسه بعد جهل وجدها ، ومن جهل نفسه بعد معرفة فقدها .

— بُغِّض الكبر الى النفس الكبيرة ، وحببت الصغائر الى النفس الصغيرة .

— لا يكن تلطفك مذالا ، ولا تحببك ابتذالا ، فان الطفيليين أعذب الناس كلاما ، وأكثرهم ابتساما .

— شبح الفقر غاد رائح على اثنين : زوج المضيعة ، وامرأة المقامر .

— المغرور من يظن الناس لا يستغنون عنه ، والمخدوع من يظن أحدا من الناس لا يستغنى الناس عنه .

— خذ من مال الناس ما شئت فإن وارثك راده اليهم .

شوقى